السلام والوئام من أجل الإنسانية

في المنظور الإسلامي*

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

توصيف الحالة الدولية الحاضرة

كلما تورطت البشرية في خوض الحروب الدولية والنزاعات المحلية ظهرت الحاجة الماسة إلى ما يطفئ نيران هذه الحروب والصراعات، إما بالإفادة من عطاء الدين الإلهي الحق، والقيم الأخلاقية، والمبادئ الإنسانية الكريمة، وإما بالإصغاء إلى صيحات أهل العلم والحكمة والاعتدال والفلسفة الواعية لإيقاف نزيف الحرب، وما تفرزه من آثار سيئة جداً على الإنسان والإنسانية، من قتل، وإراقة دماء، وتقطيع أشلاء، وفتك بالضحايا هنا وهناك، وتشريد للآمنين، وتعذيب للأسرى، والوقوع

* المؤتمر الدولي الثالث للعلماء والمثقفين المسلمين في جاكرتا، ٢٩ تموز (يوليو) - ١ آب (أغسطس) ٢٠٠٨م.

في معاناة خطيرة تسيل منها جراح المصابين والمعذّبين والمشوهين، ومقطوعي الأطراف، ومن يعانون من بتر السواعد والأرجل، وفقد السمع والبصر ونشر الأمراض العصبية الخطيرة، ونحو ذلك مما يشيب له الإنسان، وتضطرب له الأفئدة، وتستثار منه الحواس والمشاعر الإنسانية، ويتألم كل إنسان سوي لما يتعرض له أخوه الإنسان من هذه الآفات الخطيرة والمناظر المثيرة.

إن المخاوف وألوان القلق والاضطراب التي نلمسها لدى الأبوين، والشيخ الكبير، والطفل الصغير، والصديق الحميم، والجار المفجوع، تهدد كيان كل إنسان حرّ، واعٍ، يقظٍ، يحسُّ بآلام غيره، ويدفعه إلى ضرورة إنقاذ هؤلاء المعذبين في الأرض.

كفى كلَّ إنسان أن يرتجف ويكاد الخوف يقتله مما يرى من تحليق الطائرات الحربية التي تصبُّ نيران قنابلها، وتطلق الصواريخ المدمرة، وتقصف قنابلها المحرقة والانشطارية والذرية بالمدافع الثقيلة وغيرها، واستعمال مختلف أنواع الأسلحة النارية الفتاكة، التي تفتك بالأخضر واليابس، وتدمر المباني، وتقتل الآلاف، وتجعلهم جثثاً هامدة وتتركهم أياماً تحت الأنقاض، وإما في الزوايا المهملة، أو في الطرقات والشوارع المختلفة.

الإنسان في كل مكان بأشد الحاجة إلى الأمن والسلام والطمأنينة والعيش الهادئ مع أولاده الصغار وأبويه وإخوته وأصدقائه، وغيرهم من إخوة الإنسانية.

إن الفاجعة الرهيبة الحالية سببها شراسة هواة الحروب والصراعات، الوالغين في بِرك الدماء السائلة، والذين لا تلامس الرحمة قلوبهم، ولا يشعرون بأدنى درجات الإحساس، لما يتعرض له آلاف المنكوبين، بل لا تجد لديهم عقلاً رشيداً ولا فكراً حصيفاً، ولا نظرة إنسانية رحيمة،

تدفعهم إلى إشعال نيران الحروب والصراعات أطماعٌ وحشيةٌ، واستكبارٌ واستعلاءٌ، وحبٌّ للسيطرة والاستبداد، والإطاحة بكل من عداهم في العالم، وهذا ما نلمسه مع الأسف الشديد لدى عتاة القادة الطائشين، وأصحاب النزعات الفوقية والعنصرية، وحب التوسع على حساب الضعفاء والمستضعفين، وإيثار نزعة الاستكبار، وتحقيق انتصار زائف، وجموح عدواني سافر.

آنَ للإنسانية المعذبة والمفجوعة بسبب الاعتداءات المتكررة، وخوض الحروب الساخنة، أن تعود لرشدها ووعيها، وتؤثر العمل لإقرار السلم والأمن الدوليين، وإنهاء بؤر الصراع في كل مكان.

الواقع الدولي والإقليمي والمحلي المؤلم

يؤلمنا أشد الألم أن نجد هذا الواقع المظلم أو الأسود النكد قائماً بين الدول والشعوب والجيران، وفي داخل بعض البلاد، حيث أصبحت المخاطر الكبرى والساحقة تهدد مصير البشرية بسبب سباق التسلح وبخاصة التسلح النووي، والدرع الصاروخي، والمشروع الأمريكي لحرب النجوم، وبسبب انتشار بؤر الحروب والنزاعات الإقليمية والمحلية المنتشرة في معظم أنحاء الكرة الأرضية التي تؤججها السياسة الأمريكية والصهيونية الحمقاء.

وهي مخاطر لم تشهد الإنسانية لها نظيراً حتى في فترة ما قبل اندلاع الحربين العالميتين، ونجد أن العالم منذ عام ١٩٤٥م حيث نشأت منظمة الأمم المتحدة قد تعرض لأكثر من مئة وخمسين حرباً محلية[١]، ومنها

(١) تقرير الأمين العام لاتحاد المحامين العرب المقدم إلى المؤتمر السادس عشر في الكويت ١٨ - ٢١ نيسان (أبريل) ١٩٧٨م، ص ٤٠.

حروب (إسرائيل) السبعة في فلسطين المحتلة مع جيرانها العرب، التي قتل فيها مئات الآلاف، بل في غيرها أكثر من عشرات الملايين (٦٠ مليون)، وأصيب غيرهم بنكبات خطيرة جداً من تشرد، وتدمير ثروات، وإجلاء سكان عن منازلهم وديارهم، وبددت بسبب كل ذلك طموحات الشعوب في التقدم والتنمية، والأمن والسلامة، وارتكاب مظالم وكوارث تفوق الخيال، وتُعِدُّ (إسرائيل) ومِنْ ورائها أمريكة وحلفاؤها الأوربيون لحرب مدمرة ضد جمهورية (إيران) بسبب تخصيب الأورانيوم لأغراض سلمية، مع أن (إسرائيل) والدول العظمى في الغرب والشرق لديها ترسانة نووية أو أسلحة نووية مكدسة، فضلاً عن انضمام أعضاء جدد بين الحين والآخر إلى ما يسمى بالنادي الذري الدولي؛ ولدى هذا النادي المشؤوم أكثر من خمسة آلاف رأس نووي، ومنها مئتا قنبلة نووية لدى (إسرائيل) أي ما يوازي مليون قنبلة من طراز قنبلة هيروشيما، وهذا وحده يكفي لتدمير العالم عدة مرات.

وبالإضافة إلى ذلك نجد في مجال سباق التسلح بين أمريكة وروسية صواريخ متوسطة المدى، وعابرة للقارات، وحاملة للرؤوس النووية، تنتشر على الحدود بين أوربة الشرقية والغربية، بدءاً من عهد الرئيس الأمريكي الأسبق ريغين، وإلى الرئيس بوش الحالي، اللذين يمثلان اليمين الأمريكي - المتصهين المتطرف، تحقيقاً لمصالح السلاح وتكديس أسلحة نووية جديدة.

والأخطر من ذلك كله مشروع حرب النجوم الأمريكي الذي يدمر الكوكب الأرضي بأكمله.

ويعد الكيان الصهيوني أكبر خطر على العالم العربي بل الإسلامي كله، بسبب تحالفه مع أمريكة وأوربة، مما جعل منطقتنا وشعوبها في حالة صراع دائم منذ حرب يونيو/ حزيران ١٩٦٧م، واعتداء مستمر،

وتوسع ضد الشعب الفلسطيني والأقطار العربية المحيطة (سورية، الأردن، لبنان) وحينئذ دخل الشرق الأوسط في دوَّامة سباق التسلح، واستنزاف ثروات الأمة العربية في شراء السلاح وتكديسه، على أن يظل السلاح الإسرائيلي هو الأكثر تطوّراً وتفوّقاً، والسلاح العربي الأقل فاعلية وقِدَماً، بحسب الخطة الأمريكية في المنطقة منذ التدخل الأمريكي في لبنان عام ١٩٥٨م، ثم استمرار أمريكة في محاولة قهر إرادة الشعب العربي بدعم عسكري ومادي غير محدود، ثم محاولة هيمنة (إسرائيل) على الدول العربية والإسلامية في مشروع الشرق الأوسط الكبير من الدار البيضاء في المغرب إلى جاكرتا، أو الشرق الأوسط الجديد كخطة مرحلية أولى، أو اتحاد متوسط من (٤٠) دولة الذي أنشأته فرنسة بين ١٢ - ١٣ يوليو/تموز ٢٠٠٨م.

ومن أسوأ ما نشاهده اليوم ممارسات التسلط الأمريكي على أفغانستان والعراق والصومال والسودان وسورية ولبنان وغيرها، ومحاولة تجزئة كل دولة عربية إلى دويلات ثلاث، لإضعافها والسيطرة على مقدراتها، وجعل الكيان الصهيوني أداة لتنفيذ المخططات الأمريكية والأوربية المتطرفة، ومباشرة الحروب العدوانية ضد الشعب العربي، ومحاولة السيطرة على النفط في منطقة الخليج وغيرها، والإصرار على قصف المفاعل النووي الإيراني على يد الصهاينة ومِنْ ورائهم أمريكة وأوربة، ومن أغربها محاولة المحكمة الجنائية الدولية إصدار مذكرة توقيف الرئيس السوداني عمر البشير الذي يدافع عن بلاده بإخلاص، وذلك في شهر يوليو/تموز الحالي ٢٠٠٨م.

والحاصل أن المنطقة العربية والإسلامية أصبحت بؤرة صراع ساخن في العالم، وسيظل الكيان الصهيوني والصراعات في إفريقية وآسية، ومنها دول البلقان، وأفغانستان وبقية الدول العربية.

طريق الإنقاذ

ازدادت ضراوة أمريكة العدوانية مع حلفائها بعد الأحداث المدبرة في سبتمبر (أيلول) ٢٠٠١م، فتدخلت في شؤون المسلمين والعرب تحت ستار العولمة، وتصدير الديمقراطية، ومقاومة الإرهاب في عهد الرئيس الأمريكي بوش، فما طريق النجاة أو الإنقاذ؟

الطريق المتعين هو أن تحل جميع المشكلات في ميزان أهل العقل والحكمة والدين بالحوار والمفاوضات والمساعي الحميدة، وإيثار إشاعة السلم والوئام بين أفراد البشرية والدول المختلفة، وتفعيل ميثاق الأمم المتحدة وإعلانات حقوق الإنسان العالمية، ومنها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة في العاشر من ديسمبر/كانون الأول لعام ١٩٤٨م، ومنها الحق في حياة عزيزة كريمة، وفي تطبيق المساواة، والعدل، وإقرار الحرية بأنواعها، ومنها حق تقرير المصير وتصفية كل أشكال الاستعمار القديم والحديث، وإنهاء بؤر الصراع الإقليمي أو المحلي، فهذه الحقوق الأساسية ليست مجرد شعارات كما هو السائد لدى الدول الغربية وبعض الدول الشرقية، وإنما هي حقوق ملزمة في معاملة الشعوب المقهورة أو المستضعفة.

أما موقف الإسلام رسالة السماء الحقة فواضح من القديم والحديث وفي كل عصر أنه دين رفيع ومبادئه سامية وملزمة، وهو حريص على التزام قواعد الإسلام والوئام في كل زمان، ودعوته صادقة ومنهجية، وهو باسمه وشعاره في التحية والمعاملة، وقيمه وأخلاقه الإنسانية، دين المحبة والإخاء والسلام والتعاون والتعارف والتسامح، ففي القرآن (٢٥٠) لفظة مشتقة من جَذْر كلمة السلم أو السلام. والسلام اسم من أسماء الله تعالى، وتحية الإسلام السلام، والجنة دار السلام، والأصل (القاعدة العامة) في

التعامل بين الدول والشعوب هو السلام، ولا يوجد دين يحمل معنى السلام بكل معانيه وأبعاده الشاملة أفضل وأكمل من الإسلام.

لكنه سلام قائم على العزة والاستقلال وعدم الرضا بالاستعمار، ونبذ كل ألوان العدوان والخصام والتدخل في شؤون المسلمين وغيرهم وقضاياهم وثرواتهم، وإلا كان معنى السلام هو الاستسلام والاستعباد والذل والمهانة وقبول التسلط والهيمنة، والرضا بالظلم وضياع حقوق الأمة والأوطان، فهذا لا يقبله أي إنسان في الوجود.

إنه سلام الشرفاء الأعزاء الأقوياء، لا سلام الجبناء والضعفاء والخونة والعبيد، فالسلام لا يعني في أي نظام ديني أو وضعي إلغاء حق المقاومة للعدوان ودحر المعتدين الذين يسلبون الشعوب حقهم في الحرية والحياة الكريمة.

بواعث السلام أو دوافعه وممارساته في الإسلام

يحرص الإسلام وشرائعه كلها على تحقيق السلام الشامل في الداخل والخارج، الإقليمي والدولي، وإقامة قواعده الوطيدة واحترامها دون أي مساس بها، ليبقى الناس كلهم مسلمين وغير مسلمين في استقرار ووئام، وطمأنينة وعيش آمن، دون أي خوف، أو تهديد لمصالحهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإعلامية، في مظلة الحرية المنظمة والمعتدلة، لا الفوضوية أو القائمة على العنصرية والطائفية والإقليمية الضيقة، وإنما الإسلام ذو نزعة عالمية في دعوته العقدية والفكرية دون قسر ولا إكراه، ولا نهب الثروات، أو محاولة العبث أو التلاعب بالأديان كما تفعل أمريكة في تلفيق ما سموه (الفرقان الحق)، أو نشر الضلالات والإلحاد أو العصف بقيم الآداب والأخلاق أو النظام العام العالمي أو المحلي.

ليس القصد من الحرب أو الجهاد في الإسلام إلا ردع العدوان وتأديب المعتدين، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ٢/ ١٩٠].

والحرب ضرورة، ويقتصر فيها القتل والهدم والأسر على مواضع الضرورة، وهي وسيلة لا غاية، والغاية وحدها هي السلام الشامل.

وينظم الإسلام العلاقات الخارجية أو الدولية على أساس مكين وهو تشييد السلام وتمتين أصوله وقواعده وممارساته على منهج المعاهدات الثنائية وضرورة صونها وتعظيمها وعدم تعرضها لأي نقص أو خلل، لقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ﴾ [البقرة: ٢/ ١٧٧]، ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ [التوبة: ٩/ ٤].

والحريات الدينية وغيرها مكفولة ومحترمة في الإسلام، لقول الله عز وجل: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٥٦].

والتعايش[١] السلمي وكذا الودي القائم على جسور مشتركة، والحرص على تفعيل روح التعاون والإخاء الإنساني هو أساس كل علاقة خارجية وداخلية، لقوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٦٠/ ٨].

والأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هو السلم وليس الحرب، فالحرب شيء طارئ، والاعتداء حرام على الدين والنفس والعرض والمال، حتى يعيش الإنسان في أمن وسعادة وأمان، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢/ ٢٠٨]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٨/ ٦١]، وقوله ﷺ: «لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا»[٢].

---

(١) التعايش معناه العيش المشترك على أساس من الألفة والمودة.

(٢) أخرجه الشيخان (البخاري ومسلم) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والغاية من التعامل الإنساني هو تحقيق الانفتاح وإشاعة روح الأخوة الإنسانية، وفتح آفاق الحوار الديني والثقافي والاقتصادي على هدي من تبادل المصالح المشتركة، والإقناع العقلي، والبرهان الفكري بصحة رسالة الإسلام خاتم الرسالات الإلهية والمكمل بها.

وقد مارس الحكام المسلمون هذه الأصول على منهج الاعتراف بالآخر دون محاولة اقتناص ثرواته، ومصادرة ممتلكاته، وانطلاقاً من الرضا التام بوجوده والاعتراف به، ولم يثبت في تاريخ الإسلام في عهوده المختلفة أن مسلماً أكره غيره على تغيير ملته أو مذهبه أو انتمائه.

ودعوة الإسلام قائمة على الرحمة كما قال تعالى محدداً مهمة رسوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢١/١٠٧] ومنهج الدعوة واضح في نص الآية الكريمة: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٦/١٢٥]، وآية: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٢٩/٤٦].

أما الإرهاب وهو العبث والتدمير والقتل الموجَّه للآمنين غير المحاربين، فهو مرفوض في شرعة الإسلام، ولا يصح اتهام الإسلام بتصرف فئة منحرفة وضالة، فهي لا تمثل الإسلام، فالإسلام من أعمال الإرهابيين العابثين بريء كل البراءة، وهم جناة مخرِّبون.

لكن المقاومة المشروعة ضد المعتدين والمقصورة على قوات العدو هي جائزة، وكل ما يعمله المقاومون من عمليات استشهادية ضد هؤلاء تعدُّ غير ممنوعة، وأعمال المقاومين تقتضيها الضرورة، ولا توصف إطلاقاً بأنها عمليات انتحارية، لأن الانتحار مذموم لا قصد للمنتحر فيه إلا قتل نفسه، وأما العمليات الاستشهادية فهي موجَّهة ضد الأعداء

ولا حيلة أخرى سواها تحل محلها، وقد حققت نجاحات مطردة، فجوازها يكون للضرورة.

مقوِّمات السلام أو ضماناته في المنظور الإسلامي

السلام المنشود في الإسلام ليس مجرد إبرام الهدنة أو إنهاء القتال بصفة محددة في زمان أو مكان، وإنما السلام المشروع هو الدائم والشامل والثابت دون أن يتعرض لهدم أو نقض من غير مسوغات شرعية تصدر من الأعداء، مثل إجراءات تحركات مشبوهة، أو مناورات حربية على الحدود، أو ارتكاب خيانة، أو وجود أمارات وقرائن تدل على سوء النية أو القصد، وهذا ما أوضحته الآية الكريمة: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الأنفال: ٨/ ٥٨] أي أعلمهم بنقض العهد حتى تكونوا أنتم وهم متساوين في العلم بإنهاء المعاهدة.

ويمكن بيان مقوِّمات السلام أو ضماناته في المنظور الإسلامي فيما يأتي[(١)]:

١- الحفاظ على كرامة الإنسان أياً كان أصله أو جنسه أو دينه أو لونه، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ١٧/ ٧٠] وتكريم الإنسان يعني الحفاظ على حياته وقيمه ومبادئه ومشاعره وعرضه دون إساءة، فلا يقتل بغير حق ولا يمثَّل بجسده بتقطيع بعض أعضائه بعد موته أو قطع رأسه، ولا تمارس ضده أي أعمال أو أفعال تتنافى مع الآداب الإنسانية، لأن الإسلام دين الفضيلة والسمو، حتى إنه لا يجاري العدو بمثل فعله، ولأن الإسلام يترفع عن الدناءات والمخزيات وأشكال العار

(١) آثار الحرب في الفقه الإسلامي، دراسة مقارنة للباحث، ص ١٢٢ - ١٣١، ط أولى.

والخزي والفساد والرذيلة، لأنها عبث ولا فائدة منه. وهذا يعني احترام كل ما يسمى بالقانون الدولي الإنساني.

٢- إقامة مبدأ العدل في المعاملة والقضاء وأداء الحقوق ورفع المظالم، والعدل هو الذي لا يتأثر به القاضي وغيره بالهوى، فيجور في الحكم، والعدل في الإسلام أساس عام بين الأفراد والجماعات والدول، خلافاً لما تفعله أمريكة الشمالية (الولايات المتحدة الأمريكية) من إعفاء جنودها وضباط جيشها مما يرتكبونه من جرائم في العراق والصومال وأفغانستان وغيرها، ومحاباتها بغير حق الكيان الصهيوني والصهاينة الذين يقتلون النساء والأطفال، ويصادرون أراضي أهل فلسطين العرب، ويدمرون ويخربون المزارع والدور على رؤوس أصحابها من غير أي مساءلة، ويمنعون جمهورية (إيران) من تخصيب اليورانيوم السلمي، ولا ينزعون السلاح النووي من الكيان الصهيوني البغيض والغاصب المحتل.

٣- الأمن، كل معاهد مسالم آمن على نفسه وأسرته وعرضه وماله وفكره ما دامت حريته لا تتعدى إلى حريات الآخرين.

٤- الوفاء بالعهود والمواثيق، حتى في حال نشوب الحرب، ومنه الحصانة الدبلوماسية للسفراء والرسل الموفدين والقناصل.

٥- توفير العيش الكريم لكل إنسان، وتمكينه من ممارسة النشاط الزراعي والصناعي والتجاري المشروع، حتى فيما يدين به غير المسلمين كتربية الخنازير وشرب الخمور.

٦- التعاون والتبادل التجاري والمعرفي بما لا يلحق ضرراً بالمسلمين، كتصدير السلاح للأعداء، ونشر المعارف الضارة ككتب الإلحاد والضلال.

٧- تمكين المسلمين من حرية الدعوة إلى الدين الحق وإقناع الآخرين برسالة التوحيد.

٨- حماية المستضعفين في الأرض، لقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ [النساء: ٤/ ٧٥].

٩- عدم منع الأقوات البشرية أو تصديرها لكل الشعوب المسالمة وغيرها دون أي تمييز.

١٠- مقاومة الظلم والظالمين ونشر الفساد في الأرض كأسلحة الدمار الشامل، والمجاعة، والأمراض والاستبداد، واحتلال أراضي الآخرين، ونهب الثروات.

١١- إقرار مبدأ المساواة بين الشعوب والأمم، والحفاظ على حقوق الأفراد والجماعات دون اغتصاب ولا مصادرة، وطرد الملاك من أراضيهم وديارهم وأوطانهم.

١٢- الاعتراف بالحريات في كل البلاد ما دامت لا تتعارض مع حريات الآخرين، وتمكين الأشخاص من التنقل والتجارة، ما دام غير ممنوع ولا ضارّ كتجارة المخدرات.

وكل من اخترق أو أخلَّ بهذه المقومات حوكم محاكمة عادلة أمام القضاء الإسلامي العادل، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٥/ ٨]، ويخضع كل إنسان مسلم لهذا القضاء، حتى ولو كان رئيس دولة أو قائد جيش أو جندياً أو ضابطاً، وحينئذ لا حاجة في الواقع للمحاكمة أمام قضاء دولي، كالمحكمة الجنائية التابعة للأمم المتحدة منذ عام ١٩٩٨م.

ضرورة التعايش السلمي لحل المشكلات الحضارية والمدنية والثقافية

لأن العلوم والمعارف إرث عام، فلا يصح حرمان شعب أو أمة من معطيات الحضارة السلمية، خلافاً لما تفعله أمريكة وحلفاؤها في أوربة، من حرمان المسلمين والعرب من معرفة علوم التكنولوجية (التقنية) وجميع آلاتها ونشر معلوماتها السرية أو محاولة تطويرها والاستفادة منها، مع أنها تقدِّم للكيان الصهيوني أحدث الأسلحة والتقنية المتطورة والمعلوماتية الشاملة، لأن أمريكة وأوربة تعامل العالم الإسلامي وغيره بمكيال يختلف عن معاملة الكيان الصهيوني، حتى إنها تعفي هذا الكيان من كل أنواع المسؤولية عن جرائمه في فلسطين، ضاغطة على مجلس الأمن وغيره من مؤسسات الأمم المتحدة، حتى لا يُدين نظام دولة إسرائيل على أي عمل جنائي.

وأبسط مبادئ التعايش اعتماد الحوار غير الموجّه بين الأديان والحضارات، وليس الترويج لنظرية الصراع الحضاري، لأن الحوار يحقق التعاون والتعارف في حل المشكلات، وأما الصراع فإنه يولد المشكلات ويعقِّد القضايا، ويؤدي للحروب وممارسة أعمال العنف والتدخل في شؤون الآخرين.

والتعايش يؤدي إلى استئصال الخصومات والمنازعات المحلية والإقليمية، والفتن، وإثارة العواصف والاضطرابات، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢/ ١٩١]، ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢/ ٢١٧].

والحاصل: أن دعوة الإسلام لاحترام السلام العالمي والإقليمي هي دعوة موضوعية، لا تتأثر باعتبارات شخصية أو دينية أو طائفية أو عنصرية.

وهي دعوة عامة، لكنها لا تتقبل العدوان وقهر الشعوب، وممارسة الظلم والطغيان والفساد في الأرض.

كما أنها دعوة إلى توطيد دعائم الأمن والسلم الدوليين وكذا الإقليميين أو المحليين على أساس الحق والعدل.

ولا تعد الحرب مشروعة في الإسلام إلا من أجل محاربة العدوان ومكافحة أو مقاومة كل أشكال الاعتداء، وهو ما تقره الأديان المختلفة، والشرائع الدولية، ومنها ميثاق الأمم المتحدة الذي يحرِّم كل الحروب ما عدا حالة الدفاع الشرعي في المادة (٥١) ونصها:

«ليس في هذا الميثاق ما يضعف أو ينقص الحق الطبيعي للدول فرادى أو جماعات في الدفاع عن أنفسها إذا اعتدت قوة مسلحة على أحد أعضاء الأمم المتحدة، وذلك إلى أن يتخذ مجلس الأمن التدابير اللازمة لحفظ السلم والأمن الدولي».

وهذا على عكس ما تمارسه أمريكة وحلفاؤها من التدخل في أفغانستان والعراق وغيرهما، وعلى نقيض ما حرَّضت عليه أمريكة نظام الحبشة في التدخل الحربي المسلح في شؤون الصومال، أي إن أمريكة هي صانعة الإرهاب في العالم، وكذا الإرهاب المضاد.

الخاتمة

يقول بعض الكتاب الغربيين: إن الانتماء للهوية هو سبب ظهور الإرهاب، وهذا خطأ محض بالنسبة إلى المسلمين الذين يطبِّقون مفهوم السلم تطبيقاً سليماً، غير عابئين ولا مؤيدين لبعض من يمارسون التطرف أو الغلو أو الإرهاب بفهم خاطئ، وممارسة غير مشروعة.

فإن الإسلام دين يدعو إلى السلم القوي القائم على الجدية والمصداقية من أجل خير الإنسان والإنسانية، على خلاف العدو الصهيوني مثلاً الذي لا يريد حقاً إقرار السلام ولا نشر الأمان ولا يحترم حقوق الإنسان، وينظر إلى الآخرين بحقد وتعصب دفين، ويستبيح كل القيم الإنسانية، ويستمر هو ومليشياته والمستوطنون العنصريون لديه في اعتداء وحشي على الآمنين في فلسطين وغيرها من البلاد العربية والإسلامية. أما الإسلام فلا يقتصر على احترام الطرف الآخر غير المسلم فقط، بل يحرص على وجوده واستمراره كما أراد الله تعالى، والعمل على إقامة علاقات ودية سلمية طيبة مع غير المسلمين.

إننا منذ فجر ظهور دعوة الإسلام وفي العصور المتلاحقة نحن دعاة سلم لا دعاة حرب، ودعاة حوار حضاري وثقافي وفكري وديني، ولسنا دعاة صراع، أو ثقافة غربية محضة، أو فكر متطرف أو عنيف.

إننا نرفض سياسة الأمر الواقع القائم على العدوان، ونهب الثروات، والتدخل في شؤون الآخرين من غير عذر مقبول، أو تجديد الاستعمار بأسلوب جماعي وتحالف ظالم، وتحطيم روح المقاومة والدفاع عن النفس والأمة والوطن.

والمشكلة الآنية ليست هي السلم ولا الإرهاب، ولا الحرب، وإنما الحد من الصلف الأمريكي والحد من أطماعه في التدخل في شؤون المسلمين.

والأصل العام (القاعدة العامة) هو إيثار السلم على الحرب، والتعاون والتحاور لا التنابذ والصراع، والتودد والتسامح، لا الكراهية والتشنج والحقد، والتعايش السلمي القائم على الالتزام بالمعاهدات السلمية، سواء محلياً ودولياً، وإحياء نزعة الإخاء الإنساني والانفتاح على الشعوب الأخرى، لا المواجهة والعنصرية.

وللسلم ضمانات كثيرة منها الالتزام الدقيق بمبادئ الإسلام وأحكامه وشريعته، وليس جعل الإسلام مجرد شعار، أو المعاهدة مجرد قصاصة ورق، ومنها اللجوء إلى القضاء العادل لرفع الظلم وإحقاق الحق والعدل وحفظ الكرامة الإنسانية.